بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإننا نقدم لأمتنا الإسلامية ـ بل لكل أمم الأرض ـ هذه الدراسة فى مجال من أهم المجالات، وإن شئت فقل: إن ما تعانيه البشرية اليوم إنما هو بسبب ضياع وغياب مفهوم السياسة الحقة التى تحقق للناس الأمن والأمان، والتحاب والإخاء، والسعادة والرخاء.

لقد كانت البشرية قبل بعثة نبينا محمد ﷺ تموج مجتمعاتها بالفتن والاضطرابات والحروب دون مراعاة لحرمة سفك الدماء، ويسود فيها قانون الغاب الذى لا مجال فيه للضعفاء والفقراء، يستوى فى ذلك المجتمعات فى الجزيرة العربية أو من كان خارجها.

ويأبى الله ـ عز وجل ـ أن يترك عبيده هكذا، فبعث فيهم وإليهم رسوله ومصطفاه محمدًا ﷺ، الذى ساس الناس بوحى السماء وبشرع الله، فتبدلت الأحوال، وعاش الجميع فى أمن وأمان وعرف كل فرد فى المجتمع ـ حاكمًا أو محكومًا ـ دوره، فقام بما عليه من واجب، وأخذ حقه بلا تَعَدٍّ على

حقوق الآخرين ، وعلى نفس الدرب كان مجتمع الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من الحكام الذين ساسوا الناس بالكتاب والسنة، غير مُبدِّلين ولا مُغيِّرين، يبتغون فضلاً من الله ورضوانا .

وإذا كانت مجتمعاتنا الإسلامية اليوم تعيش فترة هى أشبه ما تكون بحياة ما قبل البعثة ـ إلا ما رحم ربى ـ بسبب ضياع الحقوق بين الناس ، وطغيان واعتداء الولاة والأمراء على رعيتهم بصور وأشكال مختلفة لا تخفى علينا ، كما لم يجدوا منهم الحنوّ والرعاية، وهم مسؤولون بين يدى الله عز وجل عنهم، بل وساسوا شعوبهم بمناهج وقوانين هى أبعد ما تكون عن وحى السماء ولا تمتّ بصلة إليها ، وقلدوا الغرب والشرق ونسوا ـ أى ولاة أمور المسلمين ـ أنهم أمناء على شرع الله عز وجل وتطبيقه بين الناس فى كل شؤون الحياة مصداقًا لقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي للّه رب العالمين . لا شريك له وبذلك أُمرتُ ﴾[الأنعام : ١٦٢، ١٦٣] ، كما اتخذوا بطانة ووزراء وأمراء على غير شرط الإسلام فيمن يتولى هذه المهام، فازداد الطين بلّة، واتسعت الرقعة على الراقع ، فانتشر الفساد ، واختفت حقوق الأخوة بين أفراد المجتمع ، وتقطعت الأرحام ، وانشغل كل واحد بنفسه .

وإذا كان الله عز وجل يَزَع [١] بالحاكم المسلم ما لا يزع بالقرآن ، فإن حال المجتمع المسلم لا يكتمل صلاحه إلا بتعاون أفراده ـ وفى مقدمة هؤلاء الدعاة والمصلحين ـ على إقامة الحق والعدل ، وأخذ الناس قولاً وعملاً بأحكام وشريعة الإسلام فى كل جوانب الحياة وفى قلبها الجانب السياسى والذى سماه شيخنا وشيخ الإسلام « السياسة الشرعية » ، السياسة بمفهومها الإسلامى وليس بالمفهوم الغربى الذى هو المكر والخديعة والبعد عن وحى السماء .

---

(١) أى يمنع ويكف .

إن هذا الكتاب تأتى أهميته لأسباب كثيرة ، منها :

١ ـ أنه رد على أولئك المشككين فى الإسلام والذين يرمونه بالنواقص ، ويفترون بأن الإسلام لم يهتم بهذا الجانب ـ السياسة ـ وعليه فلا بد أن نقلد الغرب فى سياستهم لشؤون حياتهم !! وأن نفصل السياسة عن الدين ، حتى وجدنا من يردد هذه العبارة ـ ولا يزال ـ من أبناء جلدتنا ، ألا وهى : « لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة » [١] !!

٢ ـ أنه بمثابة صرخة يرسلها ابن تيمية إلى حكام وأمراء المسلمين ، وكذا إلى المحكومين والرعية إلى أنه لا سعادة فى الدنيا والآخرة ولا صلاح لأحوالنا إلا بأن نسوس جميع شؤوننا ومناحى حياتنا وفق تعاليم القرآن وهدى النبى ﷺ وسيرته وسيرة الخلفاء المهديين من بعده .

فالله نسأل أن يأخذ بأيدى حكامنا وولاة أمورنا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وأن يرزقهم البطانة الصالحة والأعوان الصالحين، الذين يعينونهم على الحق ، ويحولون بينهم وبين الوقوع فى الباطل ، وفى ذلك دلالة على رضا الله عز وجل عنهم . كما أسأله ـ سبحانه ـ أن يأخذ بأيدينا جميعًا إلى العمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ ، حتى يتحقق فينا قول ربنا عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وليس ذلك على الله ببعيد ، إن صَلُحت النيات

---

(١) وقد وقع فى هذا الفخ بعض الدعاة والجماعات الإسلامية ـ الذين نحسبهم على خير ـ فأخذوا يعيبون على من يهتم بالسياسة باعتبارها رجزًا وتؤدى إلى تبنى « مفهوم الديمقراطية » الغربى الذى يقول بحكم الشعب وليس بحكم السماء ! وفرح أهل الباطل بهذا الفهم القاصر ، حيث إن هذا يشجع على تفردهم فى الساحة وسياسة الناس على حسب أهوائهم بعيدين عن شرع الله !

ولكنا نقول : لا مشاحة فى الاصطلاح ـ كما يقول علماء الأصول ـ أو التعامل بهذه المفردات ما دمنا سنخضعها لتعاليم الإسلام ، وفى القرآن الكريم : « ومكروا ومكر الله ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ [النساء : ١٤٢] ، وشتان بين مكر الله ومكر أولئك أو خداع الله وخداع أولئك . فمفهوم الديمقراطية يدعو إلى «حرية الشعب أن يختار من يمثله » . فإذا اخترنا الصالحين الذين يخافون الله والذين هم حريصون على تحكيم شرع الله عز وجل فما العيب فى ذلك ؟

وأخلصت الأعمال لله رب العالمين . وأن يعفو عن كل تقصير وخطأ لا يخلو عنه طبيعة البشر .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

المحقق

أنور الباز

١٦ من شوال ١٤٢٨هـ

الموافق ٢٨ من أكتوبر ٢٠٠٧م

عملنا فى تحقيق الكتاب

١ ـ نسخ المخطوطة وضبطها وتحقيقها وفق القواعد المتعارف عليها من حيث المقابلة والرجوع إلى المصادر المنقول عنها فيما هو غير واضح أو وقوع سقط ـ وهو قليل لا يكاد يذكر ـ لوضوح المخطوطة .

٢ ـ شرح الكلمات الغريبة من مصادر غريب الحديث إن كانت الكلمة الغريبة داخل الأحاديث النبوية ـ كالنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ـ أما ما هو خارج الأحاديث فنرجع فيه إلى القواميس اللغوية .

٣ ـ علقنا على ما يحتاج إلى تعليق ، وذكرنا فى هذا الصدد بعض التعليقات المهمة لفضيلة الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ ولم نتوسع فى هذا لأن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى غاية الوضوح فى معظمه .

٤ ـ تخريج الأحاديث وبيان درجتها من حيث الصحة وعدمه ، فيما هو فى غير الصحيحين ، حيث ذكرنا تصحيحات الأئمة القدامى وكذا المحدَثين من أمثال العالمين الجليلين الشيخ أحمد شاكر والشيخ الألبانى ـ رحمهما الله .

٥ ـ وضحنا بعض العناوين الرئيسة تحت الفصول للتيسير على القارئ والوصول إلى المقصود دون معاناة ، وجعلنا ذلك مميزًا بين معقوفتين ، وكذا فعلنا فيما وضعناه من عناوين جانبية .

ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية [١]

نسبه ومولده:

هو الشيخ الإمام العلامة الفقيه المُفسِّر الحافظ المحدِّث، شيخ الإسلام، نادرة العصر، تقى الدين أبو العباس أحمد ابن العالم المفتى شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين أبى البركات عبد السلام بن عبد الله ابن أبى القاسم بن محمد بن الخضر بن تيمية الحرانى الدمشقى الحنبلى.

وقيل فى سبب تسميته بابن تيمية: إن جده محمد بن الخضر حجّ وكانت امرأته حاملا، فلما كان بتيماء قرب تبوك، رأى جارية حسناء الوجه وقد خرجت من خباء، فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية، فلما رفعوها إليه قال: يا تيمية، يا تيمية ـ أى أنها تشبه الجارية التى رآها بتيماء ـ فسمى بها، فنسب إليها وعُرِف بها.

وكان مولده فى العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هجرية بحرّان، وهى بلدة فى الجزيرة بين العراق والشام.

وقد مات والده وهو فى مقتبل العمر، إذ مات سنة ٨٨٢ هجرية وابن تيمية فى الحادية والعشرين، وأما أمه فلم يذكر المؤرخون عنها شيئًا غير أنها عاشت حتى رأت مجد ابنها يكتمل، وعاونته فى جهاده ببرها وحدبها وعطفها.

---

[١] تراجع ترجمته ـ على سبيل المثال ـ فى:
فوات الوفيات للكتبى (١/ ٧٤ ـ ٧٨)، والوافى بالوفيات للصفدى (٧ / ١١ ـ ٢١)، وتاريخ ابن الوردى (٢/ ٤٠٦ ـ ٤١٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٩٥ ـ ٣٠٢)، والدرر الكامنة لابن حجر (١/ ١٤٤ ـ ١٦٠)، والنجوم الزاهرة لأبى المحاسن الأتابكى (٩/ ٢٧١، ٢٧٢)، وطبقات المفسرين للداودى (١/ ٤٥ ـ ٤٩)، والأعلام العلية فى مناقب ابن تيمية للبزار (ص ١٨ ـ ٨٩)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٦/ ٨١ ـ ٨٦)، والبدر الطالع للشوكانى (١/ ٦٣ ـ ٧٢)، وتاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبى زهرة (ص٥٥٨ ـ ٦٠٢).

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ ابن تيمية وتربَّى فى بيت علم وفقه، وفى بيئة تتجه به إلى العلم وتحدوه إليه، وقد وجهته الأسرة إلى ذلك فحفظ القرآن وختمه صغيرا، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع فى ذلك، مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار. وانبهر بذكائه أهل دمشق لقوة حافظته وسرعة إدراكه، فقد قيل: إنه ما من كتاب فى فن من فنون العلم إلا وقف عليه، وما استمع لشىء ـ غالبا ـ إلا ويبقى على خاطره إما بلفظه أو معناه.

قال الذهبى: «كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف، وصارت بتصانيفه الركبان».

وقال عنه أيضا: « أحمد بن عبد الحليم أبو العباس تقى الدين شيخنا وشيخ الإسلام، فريد العصر علما ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويرًا إلهيا، وكرمًا ونصحا للأمة، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر.

سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرّج، ونظر فى الرجال والطبقات، وحصّل ما لم يحصله غيره، برع فى تفسير القرآن، وغاص فى دقيق معانيه بطبع سيال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع فى الحديث وحفظه، فقلّ من يحفظ ما يحفظه من الحديث، معزوا إلى أصوله وصحابته، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل.

وفاق الناس فى معرفة الفقه واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم مذهبا، بل يقوم بما دليله عنده.

وأتقن العربية أصولا وفروعا، ونظر فى العقليات،وعرف أقوال المتكلمين وردّ عليهم، ونبه إلى خطئهم وحذر منهم».

وقال الحافظ ابن كثير: « قرأ بنفسه الكثير، وطلب الحديث، وكتب الطّباق والأثْبات، ولازم السماع بنفسه مدّة سنين، ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكيا كثير المحفوظ، فصار إماما فى التفسير وما يتعلق به، عارفا بالفقه واختلاف العلماء، والأصلين والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما تكلم معه فاضل فى فن من الفنون العلمية إلا ظن أن ذلك الفن فنه، ورآه عارفا به متقنا له، وأما الحديث فكان حافظا له متنا وإسنادا، مميِّزا بين صحيحه وسقيمه، عارفا برجاله متضلعا من ذلك، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة فى الأصول والفروع، كمَّل منها جملة وبيضت وكتبت عنه، وجملة كبيرة لم يكملها، وجملة كمَّلها ولكن لم تبيض.

وأثنى عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره، مثل القاضى الخوبى، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، وابن الزملكانى وغيرهم.

ووجدت بخط ابن الزملكانى أنه اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطُولى فى حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم والتبيين».

وقال ابن حجر: « سمع سنن أبى داود، وحصّل الأجزاء، ونظر فى الرجال والعلل، وتفقه، وتمهد، وتميز، وتقدم، وصنف، ودرس وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجبا فى سرعة الاستحضار، وقوة الجنان، والتوسع فى المنقول والمعقول، والاطلاع على مذهب السلف والخلف».

وقال الحافظ البزار : « أما غزارة علومه ، فمنها : ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد، واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء فى تفسيره، واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه، وفنون حكمه وغرائب نوادره، وباهر فصاحته، وظاهر ملاحته؛ فإنه فيه الغاية التى ينتهى إليها، والنهاية التى يعول عليها.

ولقد كان إذا قُرئ فى مجالسه آيات من القرآن يشرع فى تفسيرها، فينقضى المجلس بجملته، والدرس برمته، وهو فى تفسير بعض آية منها.

وكان مجلسه مُقدَّرا بقدر ربع النهار، يفعل ذلك بديهة من غير أن يكون له قارئ معين يقرأ له شيئا معينا يبيّته؛ ليستعد لتفسيره.

بل كان كل من حضر يقرأ ما تيسر له، ويأخذ هو فى القول على تفسيره.

وكان غالبا لا يقطع إلا ويفهم السامعون أنه لولا مضى الزمن المعتاد لأورد أشياء أخر فى معنى ما هو فيه من التفسير ، لكن يقطع نظرا فى مصالح الحاضرين.

ولقد أملى فى تفسير : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) ﴾ [الإخلاص] مجلداً كبيراً، وقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) ﴾ [طه] نحو خمس وثلاثين كراساً».

وقال أيضا: «وأما معرفته وبصره بسنة رسول الله ﷺ وأقواله، وأفعاله، وقضاياه، ووقائعه، وغزواته، ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، وبقية المنقول عن الصحابة ﷺ فى أقوالهم، وأفعالهم، وفتاويهم، وأحوالهم، وأحوال مجاهداتهم فى دين الله، وما خصوا به من بين الأمة فإنه كان ﷺ من أضبط الناس لذلك، وأعرفهم فيه، وأسرعهم استحضاراً لما يريده منه؛ فإنه قل أن ذكر حديثًا فى مصنف أو فتوى، أو استشهد به، أو استدل به إلا وعزاه فى أى دواوين الإسلام هو، ومن أى قسم من الصحيح، أو الحسن، أو غيرهما، وذكر اسم راويه من الصحابة».

وقال ابن دقيق العيد: « لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد».

وقال ابن رجب: « عنى بالحديث وسمع المسند مرات، والكتب الستة،

ومعجم الطبرانى الكبير وما لا يحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء».

وقال العلامة العينى: « كان من العلم والدين والورع على جانب عظيم، وكان ذا فنون كثيرة ولا سيما علم الحديث والفقه، والتفسير، وغير ذلك».

شيوخه:

وكان فى مقدمة شيوخه والده وجدُّه رحمهما الله، ثم أخذ عن كثير غيرهما، ومن أبرزهم :

١ـ أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسى، توفى سنة ٦٨٢ هـ.

٢ـ عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسى، توفى سنة ٦٨٢ هـ.

٣ـ أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسى، توفى سنة ٦٩٤ هـ .

٤ـ المنجى بن عثمان بن أسعد بن المنجى بن بركات بن المؤمل التنوخى، توفى سنة ٦٩٥هـ.

٥ـ محمد بن عبد القوى بن بدران بن عبد الله المقدسى المرداوى، توفى سنة ٦٩٦ هـ .

تلامذته:

لقد تأهل ابن تيمية ـ رحمه الله ـ للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة، ثم جلس منذ أن بلغ إحدى وعشرين سنة للتدريس والفتوى إلى أن توفاه الله عز وجل، أى أنه درسّ ما يزيد على خمس وأربعين سنة، حيث كانت وفاته سنة ٧٢٨ هـ. لذا فقد أخذ عنه خلق كثير، من أشهرهم:

١ـ الحافظ أبو الحجاج يوسف المزى، صاحب تحفة الأشراف، توفى سنة ٧٤٢ هـ.

٢ـ الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادى بن قدامة المقدسى، صاحب العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، توفى سنة ٧٤٤ هـ .

٣ـ محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعى الدمشقى، المشهور بابن قيم الجوزية، ومن أخص تلاميذه وألزمهم له، توفى سنة ٧٥١ هـ.

٤ـ الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، توفى سنة ٧٤٨هـ.

٥ـ أبو عبد الله محمد بن مفلح الحنبلى، صاحب الآداب الشرعية، توفى سنة ٧٦٣هـ.

٦ـ أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسى، صاحب المغنى، توفى سنة ٧٧١ هـ.

٧ـ الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، صاحب التفسير، والبداية والنهاية، توفى سنة ٧٧٤هـ.

مؤلفاته:

يقول الحافظ الذهبى: « وأما تصانيفه ـ رحمه الله ـ فهى أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، سارت مسير الشمس فى الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا الكلام لعد المعروف منها ولا ذكرها، وقد بلغت ثلاثمائة مجلدة.

وكتب بخطه من التصانيف والتعاليق المفيدة، والفتاوى المشبعة فى الأفرع والأصول والحديث ورد البدع بالكتاب والسنة شيئا كثيرًا، يبلغ عدة أحمال».

وقال البزار: « وأما مؤلفاته ومصنفاته، فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها، أو يحضرنى جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالبا أحد؛ لأنها

كثيرة جدا، كبارا وصغارا، وهى منشورة فى البلدان، فقل بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه».

وفيما يلى ذكر لأهم مؤلفاته:

١ـ مجموعة الفتاوى .

٢ـ درء تعارض العقل والنقل .

٣ـ منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية.

٤ـ الفتاوى الكبرى.

٥ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

٦ـ شرح العمدة.

٧ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول.

٨ـ بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية.

٩ـ الاستقامة.

١٠ـ تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكرى.

١١ـ تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء.

١٢ـ الرد على المنطقيين.

١٣ـ النبوات.

١٤ـ نقض المنطق.

١٥ـ بغية المرتاد فى الرد على الفلاسفة والقرامطة.

١٦ـ نقد مراتب الإجماع لابن حزم.

١٧ـ شرح العقيدة الأصفهانية.

١٨ـ بيان الدليل على بطلان التحليل.

١٩ـ المسائل الماردينية فى فقه الكتاب والسنة ورفع الحرج عن الأمة.

٢٠ـ السياسة الشرعية.

٢١ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

٢٢ـ القواعد النورانية الفقهية.

٢٣ـ التوسل والوسيلة.

٢٤ـ الواسطة بين الحق والخلق.

من صفاته:

لقد اختص الله سبحانه ابن تيمية بصفات فاق بها أقرانه، وكونت ذلك العالم الجليل، بسبب ما تهيأ له من جو وتربة صالحة، ونحن نذكرها فيما يلى:

١ـ حافظة واعية: وهى أساس العلم، وبمقدارها ومقدار القدرة على استخدامها يكون قدره وسط العلماء،و قد بدت هذه الظاهرة فى صدر حياته، واستمرت ملازمة له حتى وفاته.

٢ـ العمق فى التفكير: فقد كان ﷺ يدرس المسائل متعمقًا، وكان يدرس الآيات والأحاديث وقضايا العقل ويوازن ويقايس بفكر مستقيم، حتى ينبلج له الحق واضحًا، فلم يكن حافظًا واعيًا فقط، بل كان مدركًا متأملا مستنبطًا فاحصًا، يردد البصر ويسبر غور المسائل، حتى يصل فيها إلى النتائج محققة، وما يصل إليه تدهش له العقول، ويحير الخصوم.

٣ـ حضور البديهة: فقد كان مع قوة حافظته وتعمقه فى الدراسة حاضر البديهة تخرج إليه المعانى من مكامنها سريعة كالجندى السريع يجيب أول نداء،

وكان ذلك يبدو فى دروسه، فأرسال المعانى تجىء إليه من غير إجهاد وعند المناظرة يفحم الخصوم بكثرة ما يحفظ، وبحضور ما يحفظ ولهذه الصفة كان خصوم ابن تيمية يهابون لقاءه، ومن لا يعرفها فيه ويغتر بحجته إذا لقيه يكون عبرة المعتبرين.

٤ـ الاستقلال الفكرى: ولعل هذه الصفة أبرز الصفات فى تكون علمه وشخصيته العلمية التى جعلت له مزايا خاصة ليست فى غيره من العلماء الذين عاصروه، ولقد قال فى استقلاله الفكرى أحد تلاميذه:

« كان إذا وضح له الحق عض عليه بالنواجذ، والله ما رأيت أحدا أشد تعظيما لرسول الله ﷺ، ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه، حتى إذا أورد شيئًا من حديثه فى مسألة ،ويرى أنه ينسخه شىء غيره من حديث، يعمل ويقضى ويفتى بمقتضاه، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين كائنا من كان لا يخاف فى ذلك أميرًا ولا سلطانًا ولا سيفًا، ولا يرجع عن الكتاب والسنة لقول أحد وهو متمسك بالعروة الوثقى».

٥ـ الإخلاص فى طلب الحق: والإخلاص يقذف فى قلب المؤمن بنور الحقيقة، ويجعله يدرك الأمور إدراكًا مستقيمًا.

وقد تجلى إخلاص ابن تيمية فى أمور أربعة:

أولها: أنه كان يجابه العلماء بما يوحيه إليه فكره، لا يهمه إلا رضاء الله سبحانه ورضا الحق، غضب الناس أو سخطوا.

والأمر الثانى ـ الذى أظهر إخلاصه: تفانيه فى الحق، وجهاده فى سبيله، وقد تحمل فى هذا السبيل البلاء الشديد، والسجن المستمر من أعدائه وأصدقائه على سواء.

والأمر الثالث ـ الذى أظهر إخلاصه وبعده وتنزهه عن الأغراض والأهواء

هو: عفوه عمن يسىء إليه، عفا عن العلماء الذين سجنوه، وقد تمكن من رقابهم، وأخيراً عفا عمن ضيقوا عليه فى آخر حياته حتى مات فى محبسه.

والأمر الرابع ـ الذى بدا فيه إخلاصه: زهده عن المناصب، وكل زخرف الدنيا وزينتها فلم يتول منصبًا، ولم ينازع أحدًا فى رياسة، بل رضى أن يكون المدرس الواعظ الباحث، فلم يهتم برياسة يتنافس فيها المتنافسون، ولذا كان متصلا بالله ولا يرجو النجاة إلا من الله تعالى وقد نجاه، وقد قال الذهبى فى ذلك:

« وكم من نوبة قد رموه فيها عن قوس واحدة فينجيه الله تعالى، فإنه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوى التوكل ثابت الجأش له أوراد وأذكار يديمها».

٦ـ فصاحته، وقدرته البيانية: فقد كان ـ رحمه الله ـ خطيبًا وكاتبًا جمع الله سبحانه وتعالى له بين فصاحة اللسان والقلم، ويظهر أن هذه الموهبة وراثية فى أسرته، فقد كان أبوه متكلمًا مجيدًا، وقد قوى تلك الملكة البيانية، كثرة قراءته للقرآن، وترديده للسنة النبوية وحفظه لها، فإن الكتاب والسنة أمداه بطائفة كبيرة من الألفاظ الجيدة المنتقاة، وفوق ذلك فإن كثرة المعارك البيانية أرهفت قواه وعودته القول الارتجالى.

٧ـ الشجاعة: ومعها صفتان أخريان، وهما: الصبر وقوة الاحتمال، فقد اتصف بالشجاعة فى ميدان الحرب، وإدارة شؤون الدولة والقضاء على الفساد فى مدة الفوضى التى أوجدها غزو التتار لمدينة دمشق الفيحاء، وبدت شجاعته الأدبية طول حياته، فتجرد للمخالفين، واتجه إلى السنة وأعلنها ولو خالفت كل مألوف عند الناس، وكانت هى سبب بلائه، فلما نزل البلاء بدت فيه الصفتان الصبر وقوة الاحتمال.

أما الصبر فقد كان الصبر الجميل الذى لا يتبرم فيه ولا يتململ، وأما قوة

الاحتمال فقد بدت فى احتفاظه بكل مواهبه تعمل، انقطع عن الناس نحو سنتين لم يلن ولم يضعف، ولم يحس بإرهاق، بل أحس بوجوب العمل فلم ينقطع.

وعن شجاعته يقول ابن القيم: « وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس، والتهديد، والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت منا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا، وقوة، ويقينًا، وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل، فآتاهم من روحها، ونسيمها، وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها».

ويقول البزار فى ذلك: « كان ﷺ من أشجع الناس، وأقواهم قلبا، ما رأيت أحدا أثبت جأشا منه، ولا أعظم عناء فى جهاد العدو منه، كان يجاهد فى سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف فى الله لومة لائم».

٨ـ حسن عبادته وصلته بالله عزوجل: ولقد كان ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى محبته للطاعة وانشغاله بربه ـ عزوجل ـ متفردا عن كل الناس، فلم يشغله أهل ولا مال ولا أى شيء عن الله ـ عزوجل.

فهو فى عبادته وكثرة توجهه واستعانته بالله ـ عزوجل ـ لم يُر مثله، وقد كان معظما للشرائع ظاهرا وباطنا، يقول تلميذه ابن القيم:

« حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله ـ تعالى ـ إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلىَّ وقال: هذه غدوتى، ولو

لم أتغد سقطت قوتى، أو كلامًا قريبًا من هذا. وقال لى مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسى وإراحتها؛ لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلامًا هذا معناه».

وقال البزار: « أما عن تعبده ﷺ فإنه قلّ أن سُمع بمثله؛ لأنه قد قطع جل وقته وزمانه فيه ، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله ـ تعالى ـ ما يراد له لا من أهل، ولا من مال.

وكان فى ليله متفردًا عن الناس كلهم، خاليًا بربه ـ عزوجل ـ ضارعًا، مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية.

وكان إذا ذهب الليل، وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر يأتى بسنتها قبل إتيانه إليهم.

وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تنخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام فإذا دخل فى الصلاة ترتعد أعضاؤه، حتى تميله يمنة ويسرة».

٩ـ حسن أخلاقه: وعن حسن خلقه وإحسانه إلى من أساء إليه يقول ابن القيم: «ما رأيت أحدًا أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه.

وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أنى لأصحابى مثله لأعدائه.

وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوةً وأذىً له، فنهرنى، وتنكر لى، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله، فعزاهم، وقال: إنى لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجونه فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا الكلام، فسروا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضى عنه».

وفى جواب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن ورقة أرسلت إليه وهو فى السجن

فى رمضان سنة ٧٠٦ هـ ما يدلل على سمو خلقه وسماحته وعفوه عمن أساء إليه، حيث يقول: « فأنا على أى شىء أخاف، إن قتلت كنت من أفضل الشهداء، وكان علىّ الرحمة والرضوان إلى يوم القيامة، وكان على من قتلنى اللعنة الدائمة فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة، ليعلم كل من يؤمن بالله ورسوله أنى إن قتلت فلأجل دين الله، وإن حُبست فالحبس فى حقى من أعظم نعم الله على، والله ما أطيق أن أشكر نعمة الله على فى هذا الحبس ، وليس لى ما أخاف الناس عليه، لا إقطاعى ولا مدرستى، ولا مالى، ولا رياستى وجاهى. وإنما الخوف عليكم إذا ذهب ما أنتم فيه من الرياسة والمال، وفسد دينكم الذى تنالون به سعادة الدنيا والآخرة، وهذا كان مقصود العدو الذى أثار هذه الفتنة.

مع أنى فى عمرى إلى ساعتى هذه لم أدع أحدا قط فى أصول الدين إلى مذهب حنبلى وغير حنبلى، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره فى كلامى، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وقد قلت لهم غير مرة: أنا أمهل من يخالفنى ثلاث سنين إن جاء بحرف واحد عن أحد من أئمة القرون الثلاثة يخالف ما قلته فأنا أقر بذلك. وأما ما أذكره فأذكره عن أئمة القرون الثلاثة بألفاظهم، وبألفاظ من نقل إجماعهم من عامة الطوائف.

هذا مع أنى دائما ـ ومن جالسنى يعلم ذلك منى ـ أنى من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافرا تارة، وفاسقا أخرى، وعاصيا أخرى، وإنى أقر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ فى المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية.

ما ذكرتم من لين الكلام والمخاطبة بالتى هى أحسن، فأنتم تعلمون أنى من أكثر الناس استعمالا لهذا، لكن كل شىء فى مواضعه حسن، وحيث أمر الله ورسوله بالإغلاظ على المتكلم لبغيه وعدوانه على الكتاب والسنة فنحن مأمورون

بمقابلته، لم نكن مأمورين أن نخاطبه بالتى هى أحسن. هذا وأنا فى سعة صدر لمن يخالفنى، فإنه وإن تعدى حدود الله فى بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء، أو عصبية، أو جاهلية فأنا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتما بالكتاب الذى أنزله الله، وجعله هدى للناس، حاكما فيما اختلفوا فيه. فأنا أحق من سمع الحق والتزمه وقبله، سواء كان حلوا أو مرا، وأنا أحق أن يتوب من ذنوبه التى صدرت منه، بل وأحق بالعقوبة إذا كنت أضل المسلمين عن دينهم».

١٠ـ تواضعه: وكان آية فى ذلك، يقول البزار: « فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله فى ذلك؛ كان يتواضع للكبير، والصغير، والجليل، والحقير، والغنى الصالح، والفقير.

وكان يدنى الفقير الصالح، ويكرمه، ويؤنسه، ويباسطه بحديثه المستَحْلى زيادة على مثله من الأغنياء، حتى إنه ربما خدمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته؛ جبرًا لقلبه، وتقربًا بذلك إلى ربه.

وكان لا يسأم ممن يستفتيه، أو يسأله، بل يقبل عليه ببشاشة وجه، ولين عريكة، ويقف معه حتى يكون هو الذى يفارقه كبيرًا أو صغيرًا، رجلاً أو امرأة، حرا أو عبدًا، عالمًا أو عاميًا، حاضرًا أو باديًا.

ولا يجبهه، ولا يحرجه، ولا ينفره بكلام يوحشه، بل يجيبه، ويفهمه، ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط».

١١ـ كرمه: ولقد ضرب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى صفة الكرم أعظم الأمثلة، وكان مجبولا عليه، بلا تصنع، بل هو سجية، يقول البزار: « كان مجبولا على الكرم، لا يتطبعه ولا يتصنعه؛ بل هو له سجية وقد ذكرت فيما تقدم أنه ما شد على دينار ولا درهم قط، بل كان مهما قدر على شىء من ذلك يجود به كله.

وكان لا يرد من يسأله شيئًا يقدر عليه من دراهم ولا دنانير، ولا ثياب ولا كتب ولا غير ذلك، بل ربما كان يسأله بعض الفقراء شيئًا من النفقة، فإن كان حينئذ متعذرًا لا يدعه يذهب بلا شيء، بل كان يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إليه، وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله».

وفاته:

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ ليلة الاثنين ٢٠ من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ، بعد حبسه فى قلعة دمشق لمدة سنتين وأشهر قبيل وفاته، وذلك بسبب بعض فتاويه التى لم تعجب بعض علماء السوء آنذاك والتى كان آخرها بمنع شد الرحال إلى القبور!

وقد كانت جنازة الشيخ مثلا واضحا لقول أحمد بن حنبل: « قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم شهود الجنائز »، حيث حضرها وشهدها من الخلائق ما لا يحصره عد، يقول ابن البزرانى: « لقد اجتمع أهل دمشق لجنازة الشيخ اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر وديوان حاضر لما بلغوا هذه الكثرة التى اجتمعوها فى جنازته، وانتهوا إليها ».

فرحمه الله ورضى عنه وجعله فى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أنور الباز

(طرة الكتاب)

وقف ويحبس ويتصدق به وجه الله تعالى الكريم ولا يباع ولا يوهب ولا يحبس
فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم

بسم الله الرحمن الرحيم * وبه نستعين

قال الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام تقي
الدين احمد بن تيميه رضي الله عنه الحمد لله الذي
ارسل رسله بالبينات * وانزل معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط وانزل الحديد فيه بأس شديد
ومنافع للناس * وليعلم الله من ينصره ورسله
بالغيب ان الله قوي عزيز * وختمهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم الذي ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وايده بالسلطان النصير الجامع معنى
العلم والعلم للهدايه والحجه * ومعنى القدره والسيف
للنصره والتعزير * واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة خالصة خلاص الذهب الابريز *
واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا شهادة يكون صاحبها
حرزا حريزا وهذه رسالة مختصره
فيها جوامع من السياسة الالهيه * والاداله النبويه
التي يستغني عنها الراعي والرعيه * اقتضاها من رتب

وقف لله تعالى

وقف لله تعالى وقفا صحيحا لا يباع ولا يوهب ولا يحبس فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم

وقف لله تعالى

اوجب الله نصحه من ولاة الامور كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم فيما ثبت عنه من غير وجه ان الله يرضى لكم
ثلاثا فان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا * وان تعتصموا
بحبل الله جميعا * وان تناصحوا من ولاه الله امركم
مبتدئا الرساله مبينه على ان الامر في كتاب الله
وهو قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن
تاويلا فان الله انزل الآيه الاولى في
ولاة الامور عليهم ان يؤدوا الامانات الى اهلها
واذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل * وترك
الثانيه في الرعيه من الجيوش وغيرهم عليهم ان يطيعوا
اولي الامر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم وغيرذلك الا ان يأمروا بمعصيه الله فاذا امروا

وقف لله تعالى وقفا صحيحا

مِنَ الآخِرَه مر نصيبك مِنَ الدُنيا فانشطها انبظامًا وإن
بدأت بنصيبك مِنَ الدُنيا فاتك نصيبك مِنَ الآخِرَه وانت
مِنَ الدُنيا على خطر ۞ ودليل ذلك ما رواه الترمذي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مَن اصبح والآخِرَه اكبر
همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدُنيا وهي
راغمه ۞ ومَن اصبح والدُنيا اكبر همه فرق الله عليه
وجعل فقره بين عينيه ولم يأته مِنَ الدُنيا إلا ما كُتِبَ له
واصل ذلك في قوله تعالى وما خلقت الجن
والانس إلا ليعبدون ما اريد منهم مِن رزق وما اريد
ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فنسأل
الله العظيم ان يوفقنا وسائر اخواننا وجميع اخواننا
وجميع المسلمين لما يحبه لنا ويرضاه مِنَ القول والعمل
فانه لا حول ولا قوة الا بالله ۞ والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على نبيه محمد واله وسلم تسليمًا

نجز من كتابته مستهل شهر رمضان المعظم سنه خمس وخمسين
وثمان مايه على يد العبد الضعيف ۞ المؤمل بالجنات ان يدخلها
والمسلمين ويرزقني ۞ محمد بن علي ابن محمد الارزقي ۞ حامدًا ومسلمًا

(الورقة الأخيرة من المخطوطة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أكتفى

قال الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله :

الحمد لله الذى أرسل رسله بالبينات ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزل الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز، وختمهم بمحمد ﷺ ، الذى أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وأيده بالسلطان النصير، الجامع معنى العلم والقلم للهداية والحجة، ومعنى القدرة والسيف للنصرة والتعزيز.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خالصة خلاص الذهب الإبريز.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، شهادة يكون صاحبها فى حرز حريز.

أما بعد. فهذه رسالة مختصرة فيها جوامع من السياسة الإلهية والإيالة [1] النبوية، لا يستغنى عنها الراعى والرعية، اقتضاها من أوجب الله نصحه من ولاة الأمور، كما قال النبى ﷺ ، فيما ثبت عنه من غير وجه فى صحيح مسلم وغيره: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»[2].

---

(١) الإيالة : الولاية . يقال : آل الملكُ على رعيته إيالا : وليهم . (القاموس المحيط) .

(٢) مسلم فى الأقضية (١٧١٥/ ١٠) من طريق جرير عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة، ومالك فى الموطأ فى الكلام ٢/ ٩٩٠ (٢٠) من طريق مالك عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة، وأحمد ٢/ ٣٦٧ من طريق خالد عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة.

وهذه الرسالة مبنية على آيتين فى كتاب الله، وهى قوله تعالى: ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

قال العلماء: نزلت الآية الأولى فى ولاة الأمور، عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل .

ونزلت الثانية فى الرعية من الجيوش وغيرهم ، عليهم أن يطيعوا أولى الأمر الفاعلين لذلك فى قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك ، إلا أن يأمروا بمعصية الله ، فإذا أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فإن تنازعوا فى شىء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك،أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله ورسوله؛ لأن ذلك من طاعة الله ورسوله ، وأديت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله . قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة: ٢].

وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة.